حقوق الأنسان في العمل والضمان الاجتماعي في الأسلام

الدكتور صادق مهدي السعيد المحامي
الخبير الاقتصادي والقانوني الدولي بقضايا العمل والعمال والضمان الاجتماعي
"أستاذ اقتصاد وتشريع العمل والضمان الاجتماعي"
بجامعة بغداد سابقاً

العمل هو المصدر الرئيسي ان لم يكن الوحيد للتملك في الاسلام لذا فهو المصدر الأساسي لضمان عيش كل الناس القادرين على العمل وغير القادرين على وجه العموم لذا فهو حقهم جميعا وليس العمل الاكتسابي أو الاشتغال غاية بذاته وانما هو الوسيلة الرئيسية والفضلى للعيش والحياة ولذا فيرتبط حق الانسان في العيش بحقه في العمل ارتباطا جوهريا تلازميا على وجه الدوام سواء أكان قادرا على العمل أو غير قادر. اذ لاعيش بلا عمل. لذلك رفع الاسلام شأن العمل عاليا وأقر أهميته وحث الناس عليه بل فرضه أحيانا على البعض لأنه قوام الحياة الدنيا كلها. وعندما أمرهم بالعمل الديني للدار الأخرة، أمرهم بالعمل الدنيوى كذلك بأن لاينسوا نصيبهم من الدنيا بالعمل الصالح النافع فيها لأنفسهم وللناس معا.

قال الله تعالى: «وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا، وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الأرض ان الله لا يحب المفسدين» (١)، وقال تعالى: «ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم

---

(١) الآية ٧٧ من سورة القصص.

تشكرون»(٢). «ليس منا من ترك دنياه لآخرته وآخرته لدنياه»(٣). و بذلك وازن الاسلام خير موازنة مابين أمور الدنيا والآخرة وهذه من المميزات المهمة للدين الاسلامى.

وان الشعار الاسلامى الشهير «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً»(٤) لدليل واضح أيضا على هذه الميزة الاسلامية. علما بأنه توجد الأدلة الكثيرة المتنوعة في القرآن الكريم والحديث الشريف على اقرار هذه الموازنة مابين أمور الدين والدنيا في الاسلام.

فالى جانب تثبيت قواعد وأحكام الايمان والمعتقدات، والعبادات، والفرائض ثبت الاسلام القواعد والأحكام العامة للمعاملات والسلوك التي يتعامل بمقتضاها الناس في مجال حياتهم ونشاطاتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. و بذلك فقد رسم ووضع لهم النهج الاسلامى المستقل الخاص بشؤونهم المختلفة، ومنها مايتعلق بوجوب وحقوق وواجبات العمل والعاملين و بوجوب تأمين مستلزمات ووسائل العمل والعيش لأ بناء المجتمع، من قبل الأفراد القادرين على ذلك على الصعيد الفردى والعائلى والجماعى والاجتماعى.

وقد مهد السبيل السوى الى ضمان العمل والعيش للناس ولضمان اشتراكهم بالعدل في نعيم وخيرات هذا الوجود وذلك بأن انطلق يقاوم منذ أيامه الاولى بكل عزم وحزم الافكار القديمة البالية القاضية بكونهم قد خلقوا طبقات متمايزة بعضها فوق بعض بالالوان و بالانساب والاحساب والاموال والمواقع، يعيش بعضها على حساب البعض الآخر.

فنادى بأن الناس كلهم سواسية كأسنان المشط وهم كلهم شركاء في مقومات الحياة الاساسية في «الماء والكلأ والنار» كما أنهم جميعا من أصل واحد ونفس واحدة، وانهم كلهم عيال الله، لاتمايز بينهم الا بالتقوى والعمل الصالح النافع للناس والذي يرضى به الله سبحانه وتعالى، «ياأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة، وخلق منها زوجها، و بث منهما رجالا كثيرا ونساء، واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام، ان الله كان عليكم رقيبا»(٥). وقال صلى الله عليه وسلم: «ياأيها الناس، ان ربكم واحد،

---

(٢) الآية ٧٣ من سورة القصص.
(٣) من حكم المسلمين [وليس حديثا].
(٤) من كلام عمرو بن العاص كما ورد في كتاب عصر المأمون جـ ٢ ونسب في بعض المراجع لغيره.
(٥) القرآن الكريم ــ النساء الاية ــ ١ .

وان اباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب انّ اكرمكم عند الله اتقاكم، ليس لعربي على عجمي فضل الا بالتقوى»(٦).

وقد دعاهم جميعا برسله وكتبه المقدسة الى الايمان بوجود اله واحد احد والى الاعتقاد بمعتقدات واحدة والقيام بفرائض وواجبات دينية موحدة تقرب مابين عقولهم وابدانهم مما كان له كل الاثر البليغ في ازالة وتذويب ترسبات الماضي التي كانت تقضي بوجود التمايز والتفاضل بين البعض والبعض كأمر طبيعي لاعتبارات زائفة باطلة، كما سعى الى ازالة اسباب ومظاهر الخيلاء والاستعلاء المنكرة التي كانت توجدها الافكار والاعتقادات القديمة الخاطئة باحقية البعض دون البعض بالتمتع بالاموال والثراء والسلطان والجاه والعيش الرغيد كأمر منزل من الله لا اعتراض عليه.

ان هذا الدين الحنيف قد عمل في الواقع على ازالة الفوارق الاقتصادية السيئة بين الناس بالحجة والاقناع وبالحسنى ثم بالالزام والاكراه عند الاقتضاء.

فقرر أول ماقرر ان الله هو المالك الوحيد لكل الاشياء والاموال في العالمين «لله ملك السموات والارض ومافيهن وهو على كل شيء قدير»(٧) «قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير»(٨) وقال تعالى: «ولله ملك السموات والارض وما بينهما واليه المصير»(٩) وقال تعالى: «ولله ما في السموات ومافي الارض وكان الله بكل شيء محيطا»(١٠).

وبذلك فقد ساوى الاسلام مابين الناس ايضا في انهم جميعا لايملكون في الارض أو عليها اى شيء في المعنى الحقيقي للملكية لانهم جميعا كما قال سبحانه وتعالى: «لايملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض»(١١) وان ليس لاحدهم ميزة اختصاص دائم على

---

(٦) من خطبة الوداع ــ كتابنا ــ العمل والضمان الاجتماعي في الاسلام. بغداد ــ ١٩٧٠ ــ ١٩٧١ ص ٤٩.
(٧) القرآن الكريم ــ سورة المائدة ــ الآية ــ ١٢٠ ــ
(٨) القرآن الكريم ــ سورة آل عمران ــ الاية ــ ٢٦ ــ
(٩) القرآن الكريم ــ سورة المائدة من ــ الاية ــ ١٨.
(١٠) القرآن الكريم ــ سورة النساء ــ الاية ١٢٦.
(١١) القرآن الكريم ــ سورة سبأ ــ الاية ــ ٢٢.

مال الله، وان المال الذي يكون بيد البعض بطريق مشروع، بالعمل، أو بالارث أو بالهبة أو الوصية أو بالاتفاق المشروع مثلا انما يكون لديهم على سبيل الحيازة المؤقتة بالاستخلاف وان الحائز عليه هو مستخلف عليه، ولذا فيجب ان يقوم على هذا المال بدور الحائز الامين والوسيط الحكيم في التصرف به وفق التعاليم والاحكام الشرعية الاسلامية وطبقا لمبدأ العدل الاجتماعي والمصلحة العامة الحقيقية. قال الله تعالى: «امنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه»(١٢).

ولقد بين الاسلام الحكمة من هذا الامر بالانفاق الدائم من هذه الاموال على المحتاجين والفقراء المستحقين بقوله تعالى «كي لا تكون دولة بين الاغنياء منكم»(١٣)، وحتى لا تتراكم هذه الاموال بلا وجه حق في القلة من الناس و يساء التصرف فيها، و يبقى غيرهم وهم الغالبية محرومة منها، بل كان يهدف الى توزيع الاموال بين الناس بالعدل حتى تتداولها ايدى القادرين على ادارتها واستثمارها في مجالات النشاط الاقتصادى ولمنفعة الجميع، وفي ذلك حكمة أن لا توجد في المجتمع الفروق الاقتصادية الفاحشة وآثارها البغيضة فينعم البعض اليسير بالنعيم الوافر على حساب الاخرين و يشقى الغالبية بالبؤس والحرمان، اذ أدرك الاسلام «مامن نعمة موفورة الا و بجانبها حق مضاع»(١٤) في المجتمعات المتنكرة للعدل الاجتماعي وللحق والانصاف.

ولقد قرن الله تعالى الامر بالانفاق من المال على المستحقين بالايمان به و برسوله فقال تعالى: «آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه»(١٥) وماذلك الا لاهمية هذا الانفاق في سبيل الله والخير وفي العمل على تحقيق ضمان عدالة توزيع الاموال بين الناس وفي التمتع بوسائل العيش الضرورية للحياة وتحقيق التضامن والتعاون الاجتماعي بين ابناء المجتمع وهو ماتنشده كل المذاهب الاجتماعية الخيرة وعلى رأسها كلها الاديان السماوية لاسيما الاسلام، حتى تتوزع خيرات ونعم هذا العالم السخى الكريم بالعدل

---

(١٢) القرآن الكريم ــ سورة الحديد ــ الاية ــ ٧ كتاب العدالة الاجتماعية للاستاذ المرحوم السيد قطب الطبعة الثانية ص ١٠٦.

(١٣) القرآن الكريم ــ سورة الحشر ــ الاية ــ ٧.

(١٤) قول للامام على بن ابى طالب(ع).

(١٥) القرآن الكريم ــ سورة الحديد ــ الاية ــ ٧.

والقسطاس بين العالمين كى لا يبقى انسان محتاج لوسائل العيش الضرورية ولا تتراكم الاموال بغيرحق بايدى القلة الاغنياء من البشر.

كذلك أمر الاسلام الحائزين المستخلفين على المال ان يبحثوا و يتحروا هم عند الاقتضاء بانفسهم عن المحتاجين والمعوزين في مجتمعهم، و يدفعوا لهم حقوقهم من مال الله الذي جعله بحوزتهم واستخلفهم عليه، حتى لا تهدر الكرامة الانسانية أو تهان بالاستجداء والسؤال، وحتى يشعر الاغنياء دائما بانهم مدينون بهذا الاستخلاف و بهذه الحيازة للفقراء والمساكين عند وجودهم.

و يلاحظ من هنا ان الاسلام قد جعل الاغنياء في مركز المدينين للفقراء وعليهم ان يسعوا بانفسهم لسداد هذا الدين فقد قال سبحانه وتعالى: «وآتوهم من مال الله الذي اتاكم»(١٦) حتى يجعلهم يؤمنون ايمانا عميقا بانهم ليسوا الا حائزين لهذا المال الذي بايديهم وانهم ملزمون بالانفاق منه الى المستحقين تنفيذا لامر الله المالك الاحد، وحتى تشبع حاجات المعوزين والفقراء غير القادرين على العمل أو الذين لا تكفيهم مواردهم للعيش بعزة وكرامة وكفاية من ناحية ثانية، ثم لكى لا تبقى الاموال دولة بين القلة فتخلف منهم طبقة قوية اقتصاديا وسياسيا فتتحكم بمصائر الناس بلا حق وتستغل بذلك جهود وجموع البؤساء والمساكين من ناحية ثالثة.

ولقد رسم الاسلام النهج السليم لضمان سعي وعيش الجميع بخطة موحدة متناسقة مبنية على اسس وظروف طبيعية واقتصادية واجتماعية قوامها العمل والضمان الاجتماعى الاسلامي باعتبار أن العمل هو اساس الضمان الاجتماعى الذى يضمن بصورة اجتماعية رسمية للناس العيش الرغيد وراحة البال والتحرر من الخوف والقلق نتيجة العوز والفاقة. فما هو هذا الضمان الاجتماعي بالمفهوم العلمى و بالمنهج الاسلامى؟

الضمان الاجتماعى هو نظام اقتصادى اجتماعى تقوم بوضعه و بتطبيقه السلطة الحاكمة في المجتمع لضمان عيش الناس وصحتهم وراحتهم المعاشية والصحية أساسا بأساليب واجراءات وطرق رسمية مناسبة مختلفة بحسب الظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية في البلاد من أجل حمايتهم وقائيا وعلاجيا من شرور الفقر والمرض والجهل أيضا.

---

(١٦) القرآن الكريم ــ سورة النور ــ من الاية ــ ٣٣.

ان هذا النظام الاقتصادى والاجتماعى يتوقف تحقيق تطبيقه ونجاحه أساسا على العمل أى على السعى والاجتهاد من أجل الرزق وضمان استمرارية ممارسته في مجال النشاط الاقتصادى المنظم والمنسق بصورة اجتماعية رسمية و يتطلب ذلك أن تعمل الدولة على تهيئة الناس صحيا وعلميا وفنيا الى العمل وتأمين استمرارية حركة التشغيل والاشتغال بأنجح الوسائل وأوسع مدى ليكون العمل الاقتصادى الاكتسابى بالذات هو المصدر الاساسى وهو في الحقيقة كذلك دائما للانتاج للناس ولمواردهم التي تضمن لهم أشباع حاجاتهم الاقتصادية والاجتماعية وحاجات جميع الناس غير القادرين على العمل وحاجات المجتمع العامة كلها.

ان الانسان يشبع حاجاته المعيشية في الاصل من ثمار سعيه وعمله هو(١٧)، ان وجد السبيل الى ذلك ميسورا وكان قادرا على العمل والا فإنه يعتمد في أحيان كثيرة لاشباع هذه الحاجات على ماادخره هو لنفسه قبلا أو بمعاونة ومساعدة الاخرين له بشكل من أشكال أو من أنواع المعاونة الجماعية وأن الهدف من هذه المعونة في الاساس والواقع هو حماية الانسان في الحياة ضد العوز والحاجة، وهما ماتتولد عنهما الكثير من الافات والآثار الاجتماعية السيئة الخطيرة الأخرى.

و يقرر الاسلام كما تقرر الاديان السماو ية الاخرى فيما يتعلق بهذه الحماية(١٨) بأن الله هو رازق الخلق وهو الضامن لتكو ينهم و وجودهم وعيشهم في بطون وأحضان امهاتهم، وفي حياتهم على الارض قال تعالى «وما من دابة في الارض الا على الله رزقها» وأنه سبحانه وتعالى قد مكن الانسان في الارض وسخر له مافيها وجعل له فيها كل وسائل العيش والراحة، وما على الانسان الا أن يسعى حتى يحصل منها على ما يحتاج و يريد لاشباع حاجاته البشرية فقال عزوجل (هو الذي جعل الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه»(١٩) (الذي جعل الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به ازواجا من نبات شتى. كلوا وارعوا انعامكم ان في ذلك لايات لأ ولي

---

(١٧) كتاب اصول التأمين الاجتماعى، طبع بغداد، ١٩٦٤ من ١ ــ ١٥.
(١٨) كتابنا العمل والضمان في الاسلام.
(١٩) القرآن الكريم ــ سورة الملك ــ الاية ــ ١٥.

النهى)(٢٠) وقال تعالى: «ولقد مكناكم في الارض وجعلنا لكم فيها معايش»(٢١) وقال تعالى: «والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا، وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم، كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون»(٢٢).

و بناء عليه فالاصل عند الاسلام والاديان السماو ية الاخرى ان الله هو الكفيل والضامن لمعايش وسعادة الناس، وماعليهم الا السعى والابتغاء من فضل الله وعمل الخير وطاعته واتباع اوامره ونواهيه وتعاليمه والرفق والرحمة بالناس باعتبارهم جميعا عيال الله وأحبهم اليه ارحمهم بعياليه وكذلك بجميع المخلوقات الاخرى(٢٣).

ولقد قاوم الاسلام بحزم وشدة وايجابية الفكرة القديمة القاضية عبر الاجيال الغابرة بأن العمل اهانة وانه من اختصاص الارقاء والمستعبدين والطبقة الدنيا من البشر وانه لايليق بعليّة القوم، وقرر أن قيمة الانسان لا تقاس الا بالسعى وأن ليس للمرء الا ما سعى وان ميزة كل امرئ في المجتمع تقاس بما يقدم من عمل صالح لر به وللناس وقد رفع الاسلام شأن العمل الى مصاف العبادات والواجبات الدينية الاساسية. قال الله تعالى: «علم أن

---

(٢٠) القرآن الكريم ــ سورة طه ٥٣ ــ ٥٤.

(٢١) القرآن الكريم ــ سورة الاعراف: ١٠.

(٢٢) القرآن الكريم ــ سورة النحل ــ الاية ٨١.

(٢٣) بحثنا في خلاصة حقوق الانسان في العمل والعيش. بغداد ١٩٦٣ ص ٨ ــ ٩ والمقارنات التشريعية للاستاذ عبدالله على حسين القاهرة ١٩٤٩ من ص ١٣٥ ومابعدها. والاسلام دين الاشتراكية اعداد أحمد فراج بأقلام الاساتذة أحمد الشرباصى وعبد العزيز كامل ومحمد أبو زهرة ورفعت المحجوب وعيسى عبده ابراهيم ومحمد الغزالى ومحمد محمد المدنى. القاهرة ١٩٦٣ ــ ١٩٦٤. والنزعة الاشتراكية في الاسلام للاستاذ انور الخطيب. القاهرة ١٩٥٦. والسيد قطب «العدالة الاجتماعية» القاهرة ١٩٥١. وصحيح البخارى طبع القاهرة ١٩٤٩. ورسالة الامام الاصبهانى وسيلة النجاة بلا تاريخ طبع النجف الاشرف ورسالة الشيخ جعفر ال الشيخ راضى طبع النجف بلا تاريخ. والاحكام الشرعية في الاحوال الشخصية على مذهب الحنفية في المحاكم المصرية طبع القاهرة بلا تاريخ. ومفتاح الكرامة في شرح قواعد العلامة طبع مطبعة الشورى في القاهرة بلا تاريخ. وتذكرة الفقهاء للعلامة الحلى طبع حجرى بلا تاريخ وأحكام الاحوال الشخصية في الشريعة الاسلامية للاستاذ عبد الوهاب خلاف القاهرة ١٩٣٦. والفقه على المذاهب الاربعة قسم المعاملات للاستاذ عبد الرحمن الجزيرى طبعة القاهرة ١٩٣٥. وحاشية العلامة محمد أمين ابن عابدين طبع القاهرة ١٣٣٣هـ وبداية المجتهد ونهاية المقتصد للشيخ محمد بن رشد القرطبى القاهرة ١٩٥٢. ورسالة الدكتور السعيد مصطفى السعيد «في مدى استعمال حقوق الزوجية» طبع القاهرة ١٩٣٦. «والراعى والرعية» للاستاذ توفيق الفكيكى النجف ١٩٤٠. والنظم الاسلامية للدكتورين حسن ابراهيم حسن وعلى ابراهيم حسن طبع القاهرة ١٩٦٣.

سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله»(٢٤).

ولقد مر في يوم على النبى (ص) رجل نشط قوى متوجها وجهة معينة فقال له أصحابه يارسول الله «لو كان هذا في سبيل الله اى هذا الرجل بقوته ونشاطه، فقال رسول الله (ص): ان كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو في سبيل الله، وان كان خرج يسعى على ابوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله، وان كان يسعى على نفسه يعطيها فهو في سبيل الله»(٢٥) وقال على بن ابى طالب (ع): «فالساعى على الارملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله»(٢٦) وهذا كله من خير الادلة على رفعة شأن السعى والعمل من أجل الرزق والاكتساب ومقارنته مع الواجبات الاسلامية الكبرى الاخرى.

وقيل «ان صاحبين جاءا الى رسول الله (ص) وهما يحملان أخا لهما فسألهما النبى(ص) عنه فقالا: انه لاينتهى من صلاة إلا الى صلاة، ولا يخلص من صيام الا الى صيام حتى ادركه من الجهد ماترى: فقال (ص) فمن يرعى ابله و يسعى على والده فقالا نحن: فقال (ص) انتم اعبد منه».

ولقد تناقلت اخبار الاسلام المتواترة ان افضل الخلق ــ وهم الانبياء ــ قد مارسوا الاعمال الاكتسابية في حياتهم فكانوا عليهم الصلاة والسلام عمالا يرتزقون من عمل ايديهم وعرق جباههم فقد احترف آدم الزراعة، ونوح التجارة، وداود الحدادة، وموسى الكتابة، وادريس الخياطة وسليمان عمل الخوص وزكريا النجارة وعيسى الصباغة ومحمد(ص) رعي الغنم ثم التجارة وهذا لما يستدل منه بصورة قطعية على جلال وعلو شأن ممارسة الاعمال الاكتسابية اليدو ية وغيرها من الاشغال المشروعة لان أشهر الانبياء وهم أشرف الخلق كانوا يشتغلون فيها و يرتزقون منها فحار بوا وقاوموا بذلك الفكر القديم البالى الذي كان يقضى بكون العمل شيئا مهانا وأنه من اختصاص الادنياء والصعاليك من البشر. فاصبحوا القدوة الحسنة الرائعة للعاملين المخلصين المجدين الاوفياء وأقروا بذلك كله بأن

---

(٢٤) القرآن الكريم ــ سورة المزمل ــ الاية ــ ٢٠.

(٢٥) الطبرانى عن كتاب حقوق الانسان بين تعاليم الاسلام واعلان الامم المتحدة للاستاذ محمد الغزالى ــ القاهرة ــ ١٩٦٣ ص ٢٠٢.

(٢٦) النزعة الاشتراكية في الاسلام للاستاذ انور الخطيب ص ٧٣٣.

العمل كرامة وميزة الانسان الكامل القوى الأمين. حتى أن رسول الله (ص) قال في يد ورمت من العمل «هذه يد يحبها الله ورسوله»(٢٧) وقال (ص) «ان أفضل الكسب عمل الرجل بيده» ولم يكتف الاسلام برفع شأن العمل وازالة غبار الذلة والاهانة عنه بل هو أوجبه على الانسان القادر عليه فقد قال الله تعالى «فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله»(٢٨) وجاء في الحديث الشريف أن طلب الحلال ــ أى الرزق ــ واجب على كل مسلم وقال سبحانه وتعالى «وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا» وقال النبى (ص) «ليس منا من ترك دنياه لآخرته وآخرته لدنياه»(٢٩).

ان هذا الامر صريح بدعوة الناس الى العمل وعدم المغالاة في التعبد وفي الافراط بأداء العبادات على حساب الضرورات الدنيوية والاسلام قد اكد انه. «ليس البرأن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الاخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب واقام الصلاة وآتى الزكاة»(٣٠) وهنا ليس ايراد الصلاة في هذا الموقع من الاية وبعد الاشارة الى انفاق الاموال في وجوه الخير الا لحكمة قدرها الله القائل عز من قائل «لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون»(٣١).

وفي هذا دليل ساطع على وجوب أن يسعى الناس القادرون دائما و بكل جد و يبتغوا من فضل الله، وان لا يبقوا قاعدين عاكفين متواكلين قابعين قانعين بالفقر والعوز وشظف العيش وأرض الله واسعة مليئة بالنعم و بالخيرات. وقال الله تعالى «فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه»(٣٢) وقال النبى (ص) «ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده».

---

(٢٧) كتابنا العمل والضمان الاجتماعى في الاسلام نفس المرجع السابق ص ٥٧. حقوق الانسان للاستاذ محمد الغزالى ص ٢٠٢.

(٢٨) سورة القصص. الاية ٧٧.

(٢٩) كتاب من لا يحضره الفقيه جـ ٣ ص ٩٤.

(٣٠) سورة البقرة الاية ١٧٧.

(٣١) سورة آل عمران الاية ٩٢.

(٣٢) سورة الملك الاية ١٥.

وقد ذكر البعض ان الاسلام يقرر عقابا على العاطل عن العمل بارادته وهو قادر عليه و يعيش على حساب الاخرين ظلما. كما ذكر ان من أشد ماكان يخشى منه الرسول (ص) على أمته مداومة النوم والكسل، لغير علة صحية طبعا وقال عليه الصلاة والسلام «ان الله يحب العبد المؤمن المحترف»، و «لان يأخذ احدكم فيحتطب على ظهره فيبيعه خير له من أن يسأل الناس اعطوه أو منعوه»(٣٣).

وكان الخلفاء الراشدون يحثون الناس دائما على العمل وعلى عدم التواكل والتقاعس، وان الامام علي بن ابي طالب (ع) وهو افقرهم حالا كان يحرث الارض و يزرعها و يأكل من عمل يده حتى في زمن خلافته.

وقد روى عن الامام جعفر الصادق (ع) انه قال: ان قوما من أصحاب رسول الله (ص) لما نزلت الاية [ومن يتق الله يجعل له مخرجا. و يرزقه من حيث لا يحتسب](٣٤) اغلقوا الابواب، اى تركوا طلب الرزق، واقبلوا على العبادة وقالوا: قد كفينا الطلب، فبلغ ذلك النبي (ص) فارسل اليهم فلما مثلوا عنده قال لهم: ماحملكم على ماصنعتم؟ فقالوا: يارسول الله، تكفل الله لنا بارزاقنا، فاقبلنا على العبادة، فنهرهم (ص) وقال لهم «انه من فعل ذلك لم يستجب له ــ اى لم يستجب دعاؤه عليكم بالطلب ــ اى بطلب الرزق».

والى جانب ان الاسلام قد حث الناس على العمل ورفع شأنه الى مصاف العبادات واوجبه احيانا عليهم، فقد اوجب على الدولة تأمينه وضمانه للافراد القادرين عليه اى أنه اوجب على الدولة الاسلامية ان تضمن العمل للفرد هي بنفسها استدلالا من احكامه فقد قال رسول الله (ص) «الامام راع وهو مسؤول عن رعيته» وان هذه المسؤولية عامة مطلقة واهمها جميعا مسؤولية الامام في حماية حق الحياة للناس اى حق العمل من أجل العيش وحق الانسان في العيش عند عدم قدرته على العمل.

ولقد جاء يوما رجل الى رسول الله (ص) يطلب منه أن ينظر في أمره لانه لا عمل له وهو محتاج فدعا النبي (ص) بقدوم و بيد من خشب سواها بنفسه ودفعها الى الرجل وامره ان

---

(٣٣) صحيح البخاري.

(٣٤) بعض الآية ٢ و بعض الاية ٣ من سورة الطلاق.

يذهب الى مكان عينه له، وكلفه ان يعمل هناك وطلب اليه ان يعود بعد حين ليخبره بحاله فجاء الرجل بعد ذلك وشكره على صنيعه له وماصار اليه من يسر الحال وهذه سنة نبو ية في وجوب ضمان الحاكم العمل للفرد وحتى ادوات الانتاج وان هذا الضمان حق للفرد عليه وهي واجبة الا تباع من قبل ولي الامر في الاسلام(٣٥).

يظهر من كل ذلك ان الاسلام قاوم بشدة الاعتقاد القديم بكون العمل اهانة وانه فرض على الانسان كعقاب له، ثم بكون الناس خلقوا أغنياء وفقراء وكتب في الاقدار ان يعيش الاسياد فيهم من كد العبيد كما كان يعتقد بعض الناس الاقدمون.

وماقرر كل ذلك الا لان العمل هو الوسيلة الفضلى الوحيدة للحصول على القوت والعيش وان الناس جميعا يعيشون من عمل وانتاج القادرين على العمل وان اى تقصير أو تقاعس فيه من فئة أو فرد في المجتمع يؤثر تأثيرات سيئة ومريرة في معيشة الناس جميعا وفيهم الكثيرون بل الاكثر احيانا من غير القادرين على اعالة أنفسهم لاسباب خارجة عن القدرة والارادة كالصغر والكبر والمرض والعجز والبطالة.

نخلص من ذلك الى القول بان الاسلام ادرك أهمية العمل لضمان معيشة الناس جميعا وحث الناس على ممارسته ورفع شأنه الى مصاف العبادات واوجبه على الانسان واعتبره حقا من حقوقه الاساسية وفرض على الدولة تأمينه اليه وذلك هو الركن الاساسى لضمان عيش وتحقيق رفاهية الناس كلهم.

ولقد ادرك الاسلام ايضا ان مجرد الدعوة الى العمل وحث الناس عليه واقرار وجوبه عليهم وحقهم فيه لايكفى لممارسته، بل لابد من وجود أو ايجاد وضمان العمل بالذات لهم كى يعملوا و ينتجوا.

والاسلام قد عمل بدوره بحصافة وحكمة، و بوضع سليم أو بتقليد حكيم على تنظيم المعاملات والروابط الاقتصادية بين الناس تنظيما من شأنه تسهيل وجود الثقة ونشر

---

(٣٥) انظر مقالنا في مجلة البلاغ في بغداد ــ الكاظمية ــ العدد الرابع السنة الاولى تشرين الاول ١٩٦٦ ص٨.

الاطمئنان في مجال هذا النشاط الاقتصادى مما له أثر ايجابى في تسهيل وضمان وجود وممارسة الاعمال وتداول الاموال وتبادل السلع والخدمات الاقتصادية بينهم وكان ذلك على اساس حرية الارادة والتعاقد والاتفاق مع ضرورة الالتزام بحسن النية وسلامة الطوية وقواعد العدل والاستقامة وعدم الغش والاستغلال والاحتكار.

أجل لقد عمل الاسلام على تحقيق كل هذا عن طريق وضعه لقواعد المعاملات الاقتصادية والاجتماعية للناس على اسس تعتبر من خير مايمكن ان ترتكز عليه الحياة الاقتصادية وتزدهر مجالات النشاط الاقتصادى والاجتماعى لكي يتحقق مابين الناس جميعا التعامل الاقتصادى و يسهل عليهم دائما بذل كل الجهود والامكانيات والطاقات والسعى المتواصل مما يحقق ايجاد الاعمال ومضاعفة الانتاج والانطلاق والابداع فيهما وسهولة تداول الاموال والسلع والخدمات مما يؤدى الى اشباع الحاجات البشرية بسهولة وارتياح.

و يقصد بالمعاملات التصرفات القولية والفعلية التي يقوم بها الافراد لممارسة الاعمال ولتداول الاموال والانتاج وتبادل السلع والخدمات والاشياء وللايفاء بالحقوق والواجبات المترتبة عليهم في مجال الحياة الاقتصادية والاجتماعية.

والواقع ان جميع هذه المعاملات قد حدد لها الاسلام احكاما معينة مخصوصة لانها ليست الا وسائل لتحقيق سلامة وممارسة النشاط الاقتصادى والعملية الانتاجية لانتاج وتداول الخدمات والسلع الاقتصادية واشباع الحاجات البشرية بصورة مباشرة أو غير مباشرة لان عدم سلامتها وعدم وضع الاحكام لها يورث القلق والاضطراب بين الناس في ميادين هذا النشاط و يعرقل اعمالهم وممارستها بينما تتوقف نشاطاتهم الاقتصادية جميعا على سلامتها، وتنتظم وتتوفر اعمالهم و وسائل حياتهم بواسطتها حيث يعم بينهم بانتظامها الاستقرار والاطمئنان والثقة المتبادلة وتزدهر الحياة الاقتصادية وتتحقق الرفاهية الاجتماعية العامة والفردية.

ولقد اوجب الاسلام لصحة تصرفات الافراد واجراء هذه المعاملات مابينهم توفر الاهلية القانونية الشرعية. وان اركان هذه الاهلية التي يجب ان تتوفر في الانسان حتى يكون اهلا للقيام بممارسة هذه المعاملات هي: العقل والبلوغ والاختيار وتقرر ان الاصل في الانسان ان يكون اهلا للقيام بهذه المعاملات اذا مابلغ رشيدا وان الاستثناء هو عدم الاهلية

لذلك فقد بيّن الحالات التي لايكون الشخص فيها اهلا لممارسة هذه التصرفات بالحصر. ثم وضع قواعد الحجر على ناقصي هذه الاهلية، حتى لا يحرج الناس في معاملاتهم ولكى لا يعكر ناقصوا الاهلية سلامة سير المعاملات والتعامل بينهم وحتى لا يتضرروا هم انفسهم، ولا يضروا بتصرفاتهم الغير فيما يقومون به من معاملات اقتصادية. والاسلام أقر نظام الحجر بسبب الصغر والعته والسفه والجنون، وابطل به بعض أو كل التصرفات التي يقوم بها الصغير والمعتوه والسفيه (المهذر) والمجنون. و بيّن حالات عدم جواز نفاذ بعض التصرفات التي يجريها المريض في اثناء مرض الموت. وأوجب تنصيب قيّم و وصّي على القصّر والمحجور عليهم يقوم بادارة اموالهم ومصالحهم ليؤمن في ذلك كله حقوق القاصرين والمحجورين من ناحية وليضمن سلامة وحسن المعاملات في المجتمع من ناحية أخرى، وحتى ترسخ وتتوطد العلاقات الاقتصادية والاجتماعية على اسس ثابتة مستقرة وحتى لاتختل موازين الثقة والاعتماد بين الأفراد في تعاملهم مما يؤثر ايجابياً في مصلحتهم ومصلحة المجتمع.ومما لا يخفى انه اذا ما قام بممارسة المعاملات المختلفة ناقصوا الأهلية فلربما يسيئون التصرف أو يسيء الغير معهم التصرف فيلحق بهم و بالغير الضرر من جراء ذلك، فيؤدى الامر الى الاخلال بالروابط الاقتصادية والاجتماعية في الحياة العامة والخاصة والى حدوث القلق النفسى وعدم الاستقرار في الاوساط الاقتصادية المعنية بالامر وقد يؤدى الى شل أو ركود حركة الاعمال والتشغيل في بعض الجهات والقطاعات.

ولقد اكد الاسلام دائما على العدل والامانة في المعاملات والتعامل وشدد على ضرورة عدالة الاجور والا ثمان والمقاييس والاوزان والاخلاص والامانة في الاعمال. وعلى عدم التلاعب والغش والغبن والتغرير، ودعا بشدة الى الوفاء بالوعود، والى حسن النية وصفائها في جميع الامور المادية وغير المادية، كل ذلك من أجل تمهيد سبل التعاون والتعامل وتبادل الخبرات والخدمات والاعمال والسلع وازالة كل عقبة تعترض سبل النشاط الاقتصادى والاجتماعى بحسب الظروف الزمانية والمكانية لكل مجتمع من المجتمعات.

ان أهم المعاملات التي اقرها واحكم قواعدها الاسلام باختصار جدا بقدر ماتظهر الحكمة منها وهي مانقصد هنا في هذا البحث الموجز وهذه المعاملات هي:

(١) عقد البيع والشراء. (٢) عقد القرض. (٣) عقد اجازة الاموال والاشخاص. (٤) عقد المزارعة. (٥) عقد المساقاه. (٦) عقد الكفالة. (٧) عقد الضمان. (٨) عقد الوكالة. (٩)

عقد الشركة. (١٠) عقد المضاربة أو القراض. (١١) عقد الحوالة. (١٢) عقد الرهن. (١٣) عقد الوديعة. (١٤) عقد العارية. (١٥) وغير ذلك من العقود المتفرعة عنها وذات العلاقة بها.

أجل. هذه أهم عقود المعاملات والتصرفات الاقتصادية الاجتماعية التي أقرها الاسلام وأحكم وضع القواعد والاحكام لها مما يكفل عن طريقها تنظيم العلاقات الاقتصادية والاجتماعية في مختلف مجالات العمل والانتاج وتبادل السلع والخدمات وفي مجالات العيش والحياة أى في مختلف مجالات النشاط الاقتصادى والاجتماعى من أجل العيش والراحة في الحياة الدنيا.

وهكذا في الواقع كان قد خطط ووضع الاسلام الاسس العامة والتفصيلية لتنظيم نشاط الانسان الاقتصادى في الحياة ولضمان وجود الاعمال والاشغال والسلع والخدمات من أجل تأمين معيشة وحياة المجتمع ككل.

وأما مشكلة وقضية معيشة الافراد غير القادرين على العمل والمعيشة لاسباب خارجة عن ارادتهم كالصغر والمرض والاصابات والعجز والشيخوخة والبطالة القسرية مثلا فقد جعل الاسلام لهم حقا معلوما محددا وغير محدد في عمل القادرين على العمل اذ أوجب ضمان معيشتهم من الاموال والخيرات الفردية والعامة ومصدرها اساسا العمل.

فقد وضع الاسلام نظاما اسلاميا للضمان الاجتماعي لهذا الغرض مبنيا على الاسس التالية:

أولا ــ التكافل بين الناس من أجل العيش.

ثانيا ــ الاعالة الاجتماعية.

أولا ــ التكافل بين الناس من أجل العيش

نقصد بهذا التكافل التعاون والترابط بين افراد المجتمع تلقائيا أو الزاميا احيانا من أجل معاونة المحتاجين والمعوزين والعجزة والضعفاء والشيوخ والمرضى على العيش بدوافع

كثيرة متنوعة منها صلة الدم والقربى والصلات العائلية القبلية ثم الدينية والوطنية والقومية أو الحب الانساني أو الرغبة في الحصول على فائدة ما أو حبا في عمل البر والخير أو لمجرد التظاهر بحب الخير والمباهاة وقد دعا الاسلام الى هذا التكافل والترابط كاساس لضمان معيشة الفقراء والمحتاجين بصورة أنسانية خيرية وذم كل تعاون مقصود لغاية غير انسانية نبيلة في الاصل.

ويمكن استخلاص ثلاث أنواع أو صور لهذا التكافل المعيشى بين الناس في الاسلام وهي التكافل المعيشي الفردى، والعائلى، والجماعى.

ومن أبرز مظاهر هذا التكافل المعيشى الفردى هو معاونة الافراد بعضهم لبعض عند العوز والحاجة والعوارض لوجه الله والخير أو بدافع الانسانية والدين والثواب أو انتظار المقابل بالمثل احيانا وذلك بصورة فردية و بدون الزام دنيوى ويمكن اعتبار الاوقاف الخيرية والوصايا التمليكية والهبات الفردية من قبيل هو التكافل المعيشى في الاسلام وان من أظهر صور التكافل المعيشى العائلى هو وجوب النفقة العائلية المفروضة شرعا على الاولياء والازواج للفروع والاصول أو الاقارب والزوجات بشروطها وأنواعها ثم فرض الميراث وهو يتحقق وجوده عادة بدافع صلة الدم والحنان والحب العائلى وصلة القربى(٣٦).

أما من ابرز صور التكافل المعيشى الجماعى فهو معاونة أو مساعدة الجماعة بعضها لبعض بصورة جماعية عند العوز والحاجة والعوارض وتتحقق هذه المعاونة في الاصل بدافع المنافع المتبادلة أو لوجه الله أو بدافع الانسانية والدين والمصالح المشتركة المتبادلة. وليس هنا محل ذكر تفصيلات هذه الصور من التكافل الاجتماعى في النظام الاسلامى(٣٧).

وتوجد في القرآن الكريم الآيات المتعددة، وكذلك الاحاديث النبوية الكثيرة تدل بوضوح على الدعوه الى هذا التعاون والتكافل المعيشى بين الناس في المجتمع الاسلامى وعلى وجوبه أحيانا ومنها الآيات والاحاديث النبوية الكريمة الآتية:

١ ــ «وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب»(٣٨).

(٣٦) كتابنا الضمان الاجتماعي طبع القاهرة ١٩٥٧ ص ٤٢٤ وبعدها وصول التأمين الاجتماعى طبع بغداد ١٩٦٤ ص ١ وما بعدها العمل والضمان الاجتماعى طبع بغداد ١٩٧٠ ص ٧٩ ومابعدها.

(٣٧) الذي يريد الاطلاع على ذلك بأمكانه الرجوع الى كتابنا العمل والضمان الاجتماعي في الاسلام بغداد ١٩٦٥، ١٩٧٠.

(٣٨) سورة النساء ــ الاية ٣٦.

٢ ــ «وتعاونوا على البر والتقوى»(٣٩).

٣ ــ «لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون»(٤٠).

٤ ــ «يـاأيها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذي اليه تحشرون»(٤١).

٥ ــ «ومـا أدراك مـا العـقـبـة. فك رقبة. أو اطعام في يوم ذى مسغبة. يتيما ذا مقربه. أو مسكينا ذا متربة»(٤٢).

٦ ــ «وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين»(٤٣).

٧ ــ «وسـارعـوا الى مـغـفـرة مـن ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين. الـذيـن يـنفقون في السراء والضراء والكاظمـين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين»(٤٤).

٨ ــ «المسلمون شركاء في ثلاث في الماء والكلاء والنار»(٤٥).

٩ ــ «من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له».

١٠ ــ «اطعموا الجائع وفكوا العاني».

١١ ــ «ايما أهل عرضه أصبح فيهم امرء جائعا، فقد برئت منهم ذمة الله تبارك وتعالى».

١٢ ــ «ما آمن بى من بات شبعان وجاره جائع وهو يعلم».

١٣ ــ قـال الـنبى محمد (ص) مخاطبا الجماعة «لن تؤمنوا حتى ترحموا، فرد البعض: يارسول الله كـلـنـا رحيم، فيرد عليهم عليه الصلاة والسلام: انه ليس برحمة أحدكم صاحبه ولكنها رحمة عامة الناس».

---

(٣٩) سورة المائدة من الاية ٢.

(٤٠) سورة آل عمران الاية ٩٢ (لن تنالوا البر).

(٤١) سورة المجادلة الاية ٩.

(٤٢) سورة البلد الايات: ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥،

(٤٣) سورة البقرة الاية ١٧٧.

(٤٤) سورة آل عمران الاية ١٣٣ ــ ١٣٤.

(٤٥) الفقرات ــ ٨ ــ ١٤ احاديث نبوية شريفة.

١٤ ــ قال رسول الله (ص) «على كل مسلم صدقة قال البعض يانبى الله فمن لم يجد؟ قال: يعمل بيده فينفع نفسه و يتصدق، قالوا فان لم يجد؟ قال: يعين ذا الحاجة الملهوف قالوا فان لم يجد؟ قال: فليعمل بالمعروف وليمسك عن الشر فانها له صدقة».

و بعد ما أمر الاسلام بالانفاق والبذل على الفقراء والمساكين ونظم قواعد وأحكام النفقة العائلية والميراث والوصية التملكية والوقف والهبات وأحكم بذلك تكافل وروابط وتضامن أفراد العائلة والجماعة في مجال العيش واشار الى جزاء وثواب ذلك، بيّن عقاب المخالفين لاوامره في هذا المجال وتوعد به أولئك البخلاء الذين يكنزون الأموال ولاينفقونها في سبيل الله فقال سبحانه وتعالى: «والذين يكنزون الذهب والفضة ولاينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ماكنتم تكنزون»(٤٦).

وقال النبى (ص) «من جمع دينارا أو درهما أو تبرا أو فضة يعده لغريم ولا ينفقه في سبيل الله فهو كنز يكوى به يوم القيامة»(٤٧).

وقال الله تعالى «ولايحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطرقون مابخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السموات والارض»(٤٨).

وقد نظر الاسلام نظرة كريمة واقعية في تعاليمه المذكورة حين نص بصراحة و وضوح أن لا يكون التصدق والانفاق على الفقراء والمساكين جارحا وماسا كرامة الانسان فقال الله تعالى: «الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لايتبعون ماأنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون»(٤٩). «ياأيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر»(٥٠) «قول معروف

---

(٤٦) سورة التوبة الاية ٣٤ ــ ٣٥ وتفسير القرآن للمحلى والاسيوطى (الجلالين).
(٤٧) حديث شريف.
(٤٨) سورة :ل عمران الاية ١٨٠.
(٤٩) سورة البقرة الاية ٢٦٢.
(٥٠) سورة البقرة من الاية ٢٦٣.

ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غنى حليم»(٥١) «إن تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم و يكفر عنكم من سيئاتكم»(٥٢).

وقد يكون من المفيد علميا التوضيح هنا بأن الاسلام، اضافة الى الامر بالانفاق المستثمر والتصدق على الفقراء والمساكين، قد قسم المجتمع الى أربعة أقسام من حيث التكافل المعيشي بين الافراد وضمان المعيشة للجميع وهذه الاقسام هي:

١ ــ المعيلون القادرون على الاعالة وقد فرض الاسلام عليهم اعالة أهليهم وذو يهم لدرجات و بشروط معينة.

٢ ــ المعالون وهم غير القادرين على العمل والمعيشة بأنفسهم لأسباب لا دخل لارادتهم فيها وقد فرض لهم النفقة أى وسائل المعيشة على المعيلين المذكورين أعلاه.

٣ــ المعيلون المعسرون وغير القادرين على الاعالة لاسباب خارجه عن الارادة. وهؤلاء تنتقل عنهم مؤقتا مسؤولية الانفاق على معاليهم الى معيليهم الاصليين أى أقار بهم الاقر بين القادرين على الاعالة الى حين الميسرة والا فتنتقل مسؤولية هذا الانفاق الى بيت المال.

٤ ــ من لا عائل له وهنا تقع نفقته في بيت المال، الذي تقع عليه مسؤولية الاعالة الاجتماعية وهو ماسنتطرق اليه حالا.

نخلص من كل ذلك الى القول بان الاسلام قد نظم التكافل المعيشي بين الناس بالنفقات العائلية و بالميراث والوصايا التمليكية و وسائل الاحسان والصدقات والانفاق في سبيل الله على الفقراء والمحتاجين(٥٣).

وعند عدم كفاية أو جدوى هذا التكافل لاشباع الحاجات البشرية والاجتماعية للناس فقد الزم الاسلام للدولة الاسلامية بضمان معيشة المحتاجين والمعوزين بالمساعدة

---

(٥١) سورة البقرة الاية ٢٦٤.

(٥٢) سورة البقرة الاية ٢٧١.

(٥٣) للاطلاع على تفصيلات ذلك كله يراجع كتابنا العمل والضمان الاجتماعى في الاسلام ــ المرجع المذكور سابقا.

الاجتماعية الاسلامية الرسمية وهي الركن الثاني للضمان الاجتماعى الاسلامى اى الاعالة الاجتماعية.

ثانيا: الاعالة الاجتماعية:

لقد بيّنا ان الاسلام قد فرض نفقة البعض على البعض من الناس بحيث أصبح كل واحد منهم مسؤولا عن ضمان معيشة نفسه وغيره معا من الأهل والاقربين ولكن اذا تعذر وجود القريب الاقرب المسؤول عن الاعالة أو كان فقيرا لا يملك القدرة على هذه الاعالة أو اذا وجد شخص عاجز معدوم لا معيل له فعندئذ تقع النفقة على بيت المال أى خزانة المجتمع الاسلامى الذي تنوب عنه الدولة الاسلامية. وان هذه الاعالة التي تقع على بيت المال هي مانطلق عليها بالاعالة الاجتماعية فهى تعطى الى المحتاجين بصورة رسمية اجتماعية كحق لهم من اموال المجتمع. وهذا هو الفرض على السلطات للفقراء أو المعوزين الذين لا معيل قادر لهم يعيلهم.

والادلة الشرعية على هذا الفرض كثيرة أهمها في نظرنا مايلى:

١ ــ جاء في القرآن الكريم (انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم)(٥٤).

وهذه الاية الخاصة بالزكاة تتفق على وجوب تحقيقها للفقراء والمساكين.. الخ، جميع المدارس الفقهية الاسلامية.

٢ ــ جاء في القرآن الكريم (وآتوهم من مال الله الذي آتاكم)(٥٥) وقد ورد هذا الخطاب الى جميع الناس عاما لصالح الفقراء وهو ينصرف الى الافراد أو الى الدولة من باب أولى لانها تمثل الافراد وهي ولية أمرهم جميعا واذا تعذر تحقيق مضمونه على الافراد وأمكن تحقيقه من قبل الدولة فلا ترتفع المسؤولية عنها الا بتحقيقه اذ الامر بالاتيان هنا ينصرف الى كل شخص حكمى أو حقيقى لان اللفظ عام ومطلق وانه ينصرف الى كل قادر على الاتيان وأقدر واحد هو بيت المال أى الدولة عند عدم وجود القادر على الاعالة من الافراد.

---

(٥٤) سورة التوبة الاية ٦٠.

(٥٥) سورة النور من الاية ٣٣.

٣ــ جاءت الى رسول الله (ص) أرملة جعفر الطيار شقيق الامام على بن أبى طالب (ع) بعد ما قتل زوجها في معركة مؤتة تشكو له يتم أولادها فقال (ص): (العيلة تخافين عليهم وانا وليهم في الدنيا والاخرة)(٥٦). وهذه سنة نبوية ليست لاولاد جعفر فقط وانما هي لجميع الناس وبمقتضاها يتحمل رئيس الدولة الاسلامية نفقة كل من لا معيل له.

٤ــ بعث الرسول عليه الصلاة والسلام أحد أصحابه(٥٧) الى اليمن وقال له فيما قال «فان هم أطاعوا لذلك فأعلمهم ان الله افترض عليهم صدقه في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم» فهذا كما نراه دليل على ان السلطة الاسلامية هي مسؤولة كمسؤولية ولى الامر في أخذ الصدقات من الاغنياء وردها الى الفقراء لانها حق من حقوقهم.

٥ــ وجاء رجل الى النبى عليه الصلاة والسلام وقال له(٥٨): «هلكت يارسول الله، قال له: ولم؟ قال وقعت على أهلى في رمضان، قال: فأعتق رقبة قال: ليس عندى، قال: فصم شهرين متتابعين، قال: لا أستطيع، قال: فأطعم ستين مسكينا، قال: لا أجد فأتى النبى بعرق فيه تمر فقال: أين السائل؟ قال: ها أنا ذا، قال: تصدق بهذا، قال: على أحوج منا يارسول الله، فوالله الذي نصبك بالحق مابين أهل بيت احوج منا.. فقال: فأنتم اذا».

فالنبى بهذا الفعل قد سن سنة نبوية يجب اتباعها على من يتولى ادارة شؤون الناس، وهي أن ولى الامر يدفع عن المعوز أو المحتاج حتى الحقوق المترتبة في ذمته الى الاخرين بدليل هذا الفعل النبوى وأنه لمن باب أولى أن يدفع له مايحتاجه من نفقة للمعيشة في حياته عند الحاجة التي لاتجد سبيلا الى الاشباع بغيرذلك لان حق الحياة اقوى من حق الدين.

٦ــ وانه لما يؤيد ذلك قول رسول (ص): «أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم فمن توفى من المؤمنين فترك دينا فعلي قضاؤه ومن ترك مالا فلورثته» وقد جاء تأكيدا لقول رسول

---

(٥٦) الخطيب المرجع السابق ص ٢٢٢.

(٥٧) صحيح البخارى ــ كتاب الزكاة.

(٥٨) البخارى الجزء الثانى ص ٢٧٩.

الله (ص) هذا أن الامام الكاظم موسى بن جعفر الصادق من أحفاد على بن أبى طالب عليهم السلام قال «من طلب هذا الرزق من حلة ليعود به على نفسه وعياله كان كالمجاهد في سبيل الله فان غلب عليه فليستدن على الله وعلى رسوله ما يقوت به عياله فان مات ولم يقضه كان على الامام قضاؤه فان لم يقضه ــ أى الامام ــ كان عليه وزره ــ أى على الامام ــ ان الله عز وجل يقول: (انما الصدقات للفقراء والمساكين والغارمين) وهذا فقير مسكين مغرم».

فاذا كان الامام مسؤولا عن تسديد ديون الانسان المستدانة لمعيشته فهو من باب أقوى أن يكون مسؤولا مباشرة عن الانفاق عليه لمعيشته عند الحاجة والقدرة على الانفاق من قبله لان حق الحياة أقوى من حق الدين.

٧ ــ وهناك كثير من أفعال وأقوال كبار قادة الاسلام والصحابة جاءت منسجمة مع الايات والاحاديث المتقدمة في اثبات كون نفقة الفقير المعوز الذي لا معيل له في بيت المال نورد من أشهرها شيوعا بين المسلمين:

أ ــ نقل أن مر عمر بن الخطاب في احدى جولاته الليلية بمكان في جبل ضرار فأبصر امرأة معها أولادها وقدرا منصوبا على نار والاولاد يتلوون من الجوع فسألها عمر عما بها، فقالت حزّ بنا الليل والبرد وهؤلاء الصبية يتضورون من الجوع فقال وأى شيء في هذا القدر؟ قالت ماء وحصى اسكتهم به حتى يناموا والله بيننا وبين عمر(٥٩).

ــ يرحمك الله مايدري عمر بكم؟

ــ يولى أمرنا و يغفل عنا.

فانطلق عمر الى دار الدقيق فاخرج عدلا من دقيق وكبة من شحم وقال لخادمه زيد أحمد علي.

ــ بل أنا أحمله عنك ياأمير المؤمنين.

ــ أأنت تحمل وزرى يوم القيامه.

وحمل عمر العدل وانطلق الى المرأة وخادمه يسير خلفه وألقاه عندها ثم أخرج من

---

(٥٩) انى شخصيا اكبر لدرجة عظيمة شخصية عمر بن الخطاب ولكننى اتشكك في مثل هذه القصص الواردة حوله من ظروفها وأسلوب كلامها ولاننى لا أتصور خليفة كعمر الذي كان مشغولا بأمور المسلمين الجسام في العالم يكون عنده من الوقت مايسمح له بالتجوال والانشغال بمثل هذه الامور الفردية البسيطة عن أمور الفتوحات والدولة والجيوش القاهرة في الشام والعراق ومصر.

الدقيق شيئا وضعه في القدر وأخذ ينفخ تحت القدر حتى نضج الطعام فأفرغه في صحن وقال للمرأة أطعميهم وأنا أسطح لهم ــ أى أبسط الخبز ــ فلم يزل حتى شبعوا(٦٠). وكان عمر آنذاك خليفة، لذا المسؤول عن ضمان ذلك للناس بصفته ولى امرهم الاعلى.

وقد ذكر ايضا ان عمر بن الخطاب لما سافر الى الشام مر في ارض قوم مجذومين من النصارى فأمر ان يعطوا من الصدقات وأن يجرى عليهم القوت كما انه امر أن يعطى الاطفال اعانات من بيت المال.

ب ــ لقد جاء في معاهدة الصلح مع أهل الحيرة التي عقدها خالد بن الوليد عند مجيئه الى العراق وكانوا مسيحيين وجعلت ايما شيخ ضعف عن العمل أو اصابته آفة من الآفات أو كان غنيا فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته وعيل من بيت المسلمين هو وعياله ماأقاموا بدار الاسلام(٦١).

ومن هنا يتبين بان الاعالة الاجتماعية في الاسلام هي للمسلمين وغير المسلمين لانها مخصصة لاشباع الحاجات البشرية الانسانية.

جـ ــ ذكر الشيخ محمد عبده رحمه الله يقول «كتب الامام على بن ابى طالب لعامله في مصر مالك بن الاشتر النخعى يقول له: الله الله في الطبقة السفلى ــ الفقراء والمعوزين ــ من الذين لا حيلة لهم والمساكين والمحتاجين وأهل البؤسى والزمنى ــ المعلولين بالعاهات المستديمة ــ فان في هذه الطبقة قانعا ــ السائل ــ ومعترا ــ الذي يعطى بلا سؤال ــ واحفظ لله مااستحفظك من حقه فيهم واجعل لهم قسما من بيت مالك وقسما من فلات صوافى الاسلام ــ الغنيمة ــ في كل بلد فان للأقصى منهم

---

(٦٠) النزعة الاشتراكية في الاسلام ص ٣٢١ ــ ٣٣١. وقد نقل عن عمر بن الخطاب أيضا أنه كان عمر يسعى في أحد الليالى فمر ببيت شعر. فسمع أنين امرأة تمخض فسأل هل عندها أحد؟ فأجابه رجلها لا. فذهب الى بيته وجلب زوجته أم كلثوم بنت على ابن أبى طالب وطعاما وبقيا الى أن ولدت ثم عملا لها الطعام ولزوجها ونقل ان عمر انب ذات ليلة أما على شدة بكاء ولدها فاخبرته بأنها فطمته لان عمر لم يفرض للرضيع حقا فعجلت في فطامه لاخذ نصيب له فنادى عمر بالناس الا يعجلوا أولادهم في الفطام وأنه يفرض اعانة لكل مولود مهما كان صغيرا. ونقل عنه ايضا أنه رأى شيخا اعمى يهوديا يستجدى ففرض له اعانة في بيت المال.

(٦١) اشتراكية الاسلام للدكتور مصطفى السباعى ص ١٣٦ عن حقوق الانسان للاستاذ محمد الغزالى ــ القاهرة ١٩٦٢ ص ١٩٥.

مثل الذي للادنى. وكل قد استرعيت حقه فلا يشغلنك عنهم بطر، فانك لا تعذر بتطيعك التافة ولاحكامك الكثير المهم فلا تشخص همك عنهم ولا تصعر خدك لهم ــ لا تتكبر عليهم ــ وتفقد امور من لا يصل اليك منهم ممن تقتحمه العيون وتحقره الرجال. ففرغ لأ ولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع فليرفع اليك امورهم... وتعهد أهل اليتم وذوى الرقة في السن مما لا حيلة له ولا ينصب للمسألة نفسه وذلك على الولاة ثقيل والحق كله ثقيل»(٦٢).

د ــ وخطب على بن أبى طالب (ع) مرة في أثناء خلافته قال أيها الناس ان لى عليكم حقا، ولكم على حقا فاما حقكم على فالنصيحة لكم وتوفير فيئكم عليكم.

والمقصود هنا بالفيء هو الخراج ومايحويه بيت المال من حقوق المسلمين عامة.

نخلص من كل ذلك أن الاسلام قد ضرب المثل الاعلى بين الاديان السماوية في تنظيم شؤون الناس الاقتصادية والاجتماعية في حياتهم الدنيوية الى جانب الامور الدينية.

فحثهم على العمل بل هو أوجبه عليهم ونظم لهم قواعد المعاملات والتعامل في مجال النشاط الاقتصادى كى يضمن لهم العمل والانتاج المستمر ووجود السلع والخدمات الاقتصادية لاشباع حاجاتهم الشخصية البشرية والاجتماعية والعامة كما ضمن لهم العيش الكريم بالعمل وبالوسائل العامة والضمان الاجتماعى الاسلامى.

---

(٦٢) نهج البلاغة ــ شرح الشيخ محمد عبده ــ ج ١ ــ ص ١٠١. النزعة الاشتراكية المرجع السابق ــ ص ٢٢٦ ــ ٢٢٧.

مجلة العلوم الاجتماعية

تصدرها جامعة الكويت

مجلة فصلية أكاديمية تعنى بنشر الأبحاث والدراسات في مختلف حقول العلوم الاجتماعية.

رئيس التحرير: د. خلدون حسن النقيب

مدير التحرير: عبدالرحمن فايز الصرعي

عضو بارز للأكاديميين العرب.

توزع أكثر من (٨٠٠٠) نسخة.

الاشتراكات

للمؤسسات: ١٢ ديناراً في الكويت.
٤٥ دولاراً أمريكياً في الخارج

للأفراد: ٢ دينار في الكويت ٦ دينار للطلاب
٢,٥ دينار أو ما يعادلها في الوطن العربي.

١٥ دولاراً أمريكياً في الخارج.

الموزع في الكويت والخارج: مجلة العلوم الاجتماعية

توجه جميع المراسلات الى: رئيس التحرير
مجلة العلوم الاجتماعية - جامعة الكويت ص.ب ٥٤٨٦ صفاة - الكويت
هاتف: ٢٥٤٩٤٢١ «مباشر» ٢٥١٠١٨٨/٣٧٣ تلكس ٢٦١٦ كريب